

إن الشعب الأمريكي لم ينتخبني لأتجنب اتخاذ القرارات الصعبة، ولكن لأواجهها، وإن الأجيال القادمة لن تغفر لنا سكوتنا على ما جرى بدمشق في الأيام الماضية".

بهذه العبارات الميلودرامية استهل الرئيس "أوباما" خطابه الهولويدي الذي ألقاه منذ عدة أيام، شارحاً فيه الدوافع والمبررات التي تدعوه لاتخاذ عمل عسكري ضد النظام السوري بقيادة بشار الأسد، وطالباً من الكونجرس الأمريكي أن يمنحه تفويضاً لضربة عسكرية منفردة بعد أن امتنعت إنجلترا وتلكأت فرنسا واعتضت ألمانيا. وبالتوازي مع هذا الخطاب العاطفي، وفيما يبدو أنها عملية إعلامية منسقة وبها قدر كبير من التهويل، تشنها إدارة أوباما ضد النظام السوري، سربت الإدارة الأميركية عبر ثلاث صحف أميركية كبرى أبناء حول تحديثها "لائحة الأهداف العسكرية في سوريا"، استعداداً لتوجيه ضربة لقوات النظام السوري، وكي ما تظهر أميركا أكثر جدية وعزمًا هذه المرة على قصف الأسد، أرسلت بعدة إشارات على هذه الجدية منها؛ توقيت اللقاء الاستثنائي الذي عقده "فريق الأمن القومي" يوم السبت؛ إذ ينذر انعقاد لقاءات من هذا النوع في أيام عطلة نهاية الأسبوع، وفي الاجتماع استمع الحاضرون إلى قراءة قدمها رئيس أركان الجيش الأمريكي "ديمبسي" حول الخيارات المتاحة أمام الولايات المتحدة والمجتمع الدولي للرد على استخدام الأسلحة الكيماوية، وفي إثر اللقاء سارع "ديمبسي" لزيارة عمان، حيث يشارك في اجتماع رؤساء أركان جيوش "الدول العشر" المنبثق عن "لقاء أصدقاء سوريا"، للبحث في إمكانيات عمل عسكري. وهذه الدول تضم إلى جانب الولايات المتحدة، فرنسا وبريطانيا وألمانيا وكندا وإيطاليا وتركيا والأردن وقطر والسعودية، كما باشرت القيادة العسكرية الأميركية برفع جهوزية الأسطول السادس الموجود في البحر الأبيض المتوسط، والتابع للقيادة الأوروبية، بدلاً من "القيادة الوسطى" المعنية بعمليات الشرق الأوسط.

وفي هذا السياق، انضمت مدمرتا "يو إس إس ماهان" و"يو إس إس ستاوت" إلى فرقاطتين موجودتين أصلاً في المتوسط. وهذه التشكيلة القتالية المكونة من السفن الأربع هذه هي التي شنت "الضربة الأولى" في العملية العسكرية التي أطاحت بالزعيم الليبي معمر القذافي في ليبيا بإطلاقها مئات صواريخ الكروز التي عطلت "القيادة والسيطرة" لجيش القذافي، كذلك ضربت مدارج مطاراته وأهدافاً أخرى.

وهذه التشكيلة العسكرية تشير بوضوح لنية أميركا توجيه ضربة محدودة لنظام الأسد تقتصر على إطلاق الصواريخ فقط لإضعاف قدرات الأسد دون شلها بالكلية كما حدث مع القذافي، فالتشكيلة تخلص من حاملات الطائرات على الرغم من وجود حاملات الطائرات "هاري ترومان" حالياً في البحر الأحمر، والحاملة "نيميتز"، في شمال بحر العرب في إشارة لعدم النية في استخدام سلاح الجو في الضربة، بل إن دراسة جدوى الضرب بصواريخ "كروز" نفسها محل شك، فالصاروخ صاحب الوزن المتوسط - 450 كيلو جرام، والمدى الطويل - 2500 كيلو متر - لا يستطيع أن يصيب الأهداف السورية المقترحة إصابة مؤثرة، وسوف تظل مخزونات الأسلحة الكيميائية في سوريا سليمة. وصواريخ "كروز" يمكن أن تلحق الضرر بالهيكل السطحية في القواعد التي تخزنها، ولكن لا تتمكن من اختراق مواقع التخزين تحت الأرض، كما أنها لا يمكن لها وحدها شل حركة سلاح الجو السوري، أو إغلاق قواعده، بل غاية ما تفعله تدمير المدارج التي لا يستغرق إصلاحها سوى أيام قليلة، والأعجب من ذلك أن قيادة الجيش الحر بقيادة اللواء سليم إدريس قدمت لائحة بـ 53 هدفاً إستراتيجياً للنظام السوري لا بد من ضربها حتى ينهار نظام الأسد، ومع ذلك لم تتم الموافقة على أي هدف في اللائحة قبل الرئيس أوباما ووزارة الدفاع ورئيس هيئة الأركان المشتركة، الجنرال مارتن ديمبسي، مما يؤكد على عدم جدية الإدارة الأميركية في الإطاحة بنظام الأسد وأن للضربة أهدافاً أخرى غير الإطاحة بالأسد.

الأسد يقتل الشعب السوري منذ عامين ونصف بمختلف صنوف الأسلحة، بما فيها الصواريخ والطائرات، حتى وصل حجم الضحايا لأكثر من 150 ألف شهيد، وأكثر من عشرة مليون مشرد، ونصف مليون مصاب، ومثلهم بين معتقل ومفقود، فلماذا لم تهتز مشاعر أميركا الحنونة إلا اليوم؟ لماذا لم يذرف أوباما الدمع ويتذكر قيمه ومبادئه وأجياله القادمة إلا اليوم؟ ولماذا لم تقم أميركا بتسليح الثوار السوريين والاستغناء عن التدخل العسكري؟ بل لماذا منعت أميركا شحنات الأسلحة من الوصول إلى الثوار؟ بل الأدهى من ذلك من الذي أوصل الصواريخ الفرنسية والمدركات الأميركية بيد الجيش النظامي في ظل هذا الحصار الدولي لتصدير السلاح إليه؟

الإجابة على هذه التساؤلات المشروعة تلتقي عند نقطة واحدة وهي رغبة أمريكا والغرب في بقاء الوضع السوري عند نقطة التوازن الحرجة لإطالة أمد الصراع لأطول فترة ممكنة يتم فيها القضاء تماماً على قدرات الطرفين المتصارعين أو على أقل تقدير إنهاكهما للدرجة التي تجعل الطرف المنتصر لا يشكل أي خطر في المستقبل على أمن "إسرائيل" والمنطقة، وأيضاً في تدمير الوطن السوري تدمير شامل يقضي على أي أمل في بناء دولة حرة وقوية وموحدة في مرحلة ما بعد الأسد، كما أنها تحتفظ لنفسها بأمثال هذه الضربات الاستعراضية بحق التدخل في الملف السوري في أي وقت شاءت واطاعة في حساباتها فرضية انتصار الثورة على النظام الطاعني، ومن ثم يتم جرجرة جميع الأطراف لطاولة المفاوضات في جنيف ل يتم سرقة الثورة السورية، كما سرقت ثورات من قبل؛ الأفغان في جنيف، البوسنيين في دايتون.

الكونجرس اليوم قد أعطى موافقته لأوباما لضرب سوريا ضربة وقائية تستهدف شل قدرات الأسد الكيماوية، دون الإطاحة به تماماً، وذلك من أجل الحفاظ على ما تبقى من مصداقية كاذبة للولايات المتحدة أمام الرأي العام الأمريكي والدولي، الكونجرس أعطى موافقته وهو يعلم أن أمثال هذه الموافقات قد دفعت الأسد من قبل لارتكاب مجازر مروعة كما فعل من قبل في الحولة وبانياس وحمص، الكونجرس أعطى موافقته وهو يتعامى عن الأوضاع شديدة الخطورة في مصر وغزة، وهي الأوضاع التي تنذر بانفجار إقليمي وشيك، ويصر على إرسال رسائل متضاربة يقرؤها كل طرف من وجهة نظره، فانقلابيو مصر يرونها تأييداً لهم، وأنصار الشرعية يرونها تأييداً لهم، وبين هذا وذاك يتواصل الصراع، ويمتد لهيبه ليحرق غزة بنيران لا ناقة لهم فيها ولا جمل.

بالجملة أمريكا تدير رحي حرب على نار هادئة تجعل ضجيجها يشد في مكان مرعدة مزبدة ضد النظام السوري المتداعي، في حين أن طحين هذه الحرب على أشده في مصر وغزة حيث الأوضاع هناك على شفا حرب أهلية وإقليمية لا تبقى ولا تدر

كاتب المقالة : مفكرة الإسلام

تاريخ النشر : 08/09/2013

من موقع : موقع الشيخ الدكتور/ محمد فرج الأصفر

رابط الموقع : www.mohammedfaraq.com